

- ١٦٤ -

الإنسان خلق في هذا الكون ليستقر على إيمان من الوهم المحض أو يسلب القرار .

وقد راجعنا كثيرا من هذه العقائد المبتدعة أو العقائد الفردية فما وجدنا بينها عقيدة واحدة يدعى لها صاحبها أكثر من دعوة أنها تناسبه وترىحه . أو أنها خير ما يناسبه ويرىحه . إن لم يكن بد من الاعتقاد . ولكنهم لا يدعون لها أنها عقيدة صالحة للجماعات البشرية . في أطوار متعددة ، وأجيال متعاقبة . ولا يدعون أن هذه الجماعات البشرية تستغني عن كل اعتقاد موروث وغير موروث . لأنهم - وهم آحاد - بحثوا لأنفسهم عن اعتقاد ، أو شعروا بخيبة الرجاء لفوات حظهم من الاعتقاد .

وكل مقابلة بين العقائد الفردية التي من هذا القبيل وبين عقائد الجماعات البشرية تنتهي بنا إلى التفرقة بينها بهذه الفوارق التي لا مناص منها : وهي : أن عقيدة الفرد ترجع إليه في تفسيره وتوضيحه وأسلوبه في فهم الأمور بالحقيقة أو المحاز .

أما عقيدة الجماعة فلا مناص فيها من ملاحظة شرائط لا تدعو الضرورة إليها كلها في تلك العقائد الفردية .

ومنها أن دين الجماعة لا يخلو من المحاز . لأنه يوحى إليها بالمغيبات المحجوبة ويقرب إليها المعاني الأبدية التي تمنزج بالضمير ، ولا تستجيش الحس ، إلا إذا اشتملت على مخيلاتهم واقترنت بما يعهدونه من المألوفات والمشاهدات .

ومنها أن دين الجماعة يعم الخاصة والعامة والمجهدين والمقلدين ، ولا يؤدي غرضه الأسمى إذا قطع فريقا من هؤلاء عن فريق .

ومنها أن دين الجماعة لأجيال كثيرة وليس لجيل واحد ، وفي هذه الأجيال الكثيرة يتسع المجال لكثير من المستجدات في العلم ، وكثير من الغير والأطوار في مبادئ الأخلاق ومشارب الأذواق .